مدن ألف ليلة وليلة ووقف وسط جمهور حاشد يشاهد موكب الأمير عندما رأى الموكب يتوقف، ورأى الأمير يهبط من محفته ويتجه إليه يأخذه بالأحضان. ولكنني لم أكن أقل استثارة ودهشة منه، وأنا أرى هذه المرأة التي تأتي لتحيتي وسط ذهول أصحاب الدكاكين وزبائن السوق. ترى من تكون هذه المرأة؟ وكيف عرفتني؟ ولماذا جاءت لتحيتي؟ إنني لست شخصية عامة يقصدها المعجبون ويطلبون التعرف إليها، ولا أذكر أنني التقيت في حياتي بامرأة مثلها. بدا واضحا أنها تعرفني معرفة حميمة، فكيف أستطيع أن أغفر لنفسي أنني لا أعرف أين ومتى وكيف التقيت بهذه الأنثى الساحرة. أضافت هي حطبا جديدا إلى مواقد النار التي أضرمت سعيرها في صدري.

ـ ألا تذكرني؟

يالفجيعتي ما أعظمها. إنني فعلا لا أذكرها، لأنني لاأذكر أنني التقيت بامرأة لها مثل جمالها، الذي أبهجني وعذبني منذ أول لحظة. رأتني واجما، ذاهلا، لا أقدر علي النطق فأضافت:

ـ ألا تذكر تلك الطفلة التي أحبتك وأحببتها، وصنعت لها أول وآخر لحظة مجد وتألق في حياتها.

وقبل أن أستوعب هذا الكلام المبهر، من الحب والمجد والتألق، الذي جمع بيني وبينها في أزمنة سالفة، وجدتها، ووسط هذا الحشد من البشر الذين يضمهم السوق، تغني بصوت هامس ضاحك:

نحن زهور حدائقها

نحن الحنة في يدها

نحن القرط بأذنيها

نحن بنات مدينتنا